الخطاب الحواري في روايات محمد جبريل

رواية "مقصدي البوح لا الشكوى" أنموذجًا

الباحثة/ هند أحمد السيد محمد

ملخص:

تحاول هذه الدراسة تحليل (النص المكتنز) في "مقصدي البوح لا الشكوى" رواية تسجيلية؛ حيث يؤرخ محمد جبريل سلسلة من الوجع والألم الذي عاناه، بعد إجراء عملية أسفل العمود الفقري، لم تكلل بالنجاح. هتك جبريل ستر المنظومة الطبية والعلاجية، وكشف لنا أساليب التعامل مع المرضى، خاصة أنه عاصر إضراباً للأطباء للمطالبة بحقوقهم بعد ثورتي ٢٥ يناير و٣٠ يونيو.

والرواية بها أحداث وشخصيات كثيرة تتفاعل مع بعضها. يذكر جبريل الأسماء والأماكن والتواريخ صراحة في هذا العمل، إمعانا في التسجيلية، وفي السيرية، مثل نجيب محفوظ، وفؤاد قنديل، وصابر عرب، شخصيات تعبر عن إيديولوجياتها من خلال أفعالها ومواصفاتها وملامحها وكل شيء يخصها. ربما يقترب من رواية "حدوتة مصرية" ليوسف إدريس. أو هو سرد الوجع والمرض كما فعل الشاعر المصري(أمل دنقل) في ديوانه الأخير"أوراق الغرفة٨".

نظرة فلسفية للحياة والموت؛ فتتدافع الأسئلة لتولد المزيد من الحيرة: لماذا يشيخ الانسان ويموت؟ لماذا يولد الانسان؟ تُختتم الرواية التسجيلية بالأمل بتمني الشفاء وساعتها سوف يبدأ المشي بلا توقف"أنضم لتيارات الناس والزحام".

هنا قام الخطاب الحواري على عمودين أساسيين هما: القول، والاستفهام، وما تفرع عنهما من الأساليب والصيغ، كانت صيغة القول بين: قال، وقلت، بما فيها من إظهار المعنى، والخبر، وإظهار الحال. ليتحقق مبدأ الحوارية من خلال تحاور الأصوات داخل الرواية، التي تكون الشخصيات ممثلة لها، وكل شخصية تؤدي دورها من خلال اسمها وملامحها وصفاتها ومظهرها وخطابها، وحسب انتمائها الاجتماعي ومستواها الثقافي. والراوي يتكلم بلغة مشتركة لدى الجميع حتى يكون محايدًا، كما أن الرواية قد تتخللها لغات أجناس أخرى كالشعر والمثل الشعبي، وغيرهما مما يكون موقفا إيديولوجيا.

Abstract:

we are trying to study the analysis of (the dense text) in "My Purpose to Reveal, Not to Complain" - a documentary novel - which chronicles a series of pain and pain that he suffered, after undergoing a lower spine operation., was not successful. Gabriel attacked the cover of the medical and treatment system, and revealed to us the methods of dealing with the disease, especially since he witnessed a strike by doctors to demand their rights after the revolutions of January 25 and June 30**.**

The novel contains many events and many characters interacting with each other. Gabriel mentions the names, places, and dates explicitly in this work, examining the documentary and the biography, such as Naguib Mahfouz, Fouad Qandil, and Saber Arab (the former Minister of Culture), characters who express their ideologies through their actions, characteristics, and features, and everything related to them is available in the hands of the writer

Perhaps it comes close to the novel "An Egyptian Story" by Youssef Idris. Or is it a narration of pain and illness, as the Egyptian poet (Amal Dunqul) did in his last collection, "Room Papers 8," which was published by his wife (Abla Al-Ruwaini) forty days after his death

Generous pages of philosophical outlook on life and death; "If you are afraid of death, you will certainly die," and questions arise, generating more confusion: Why do people age and die? Why is a person born? The documentary ends with a wish for recovery, and then he will begin walking without stopping, "joining the streams of people and the crowds**".**

Here, the dialogical discourse was based on two basic pillars: the statement, the question, and the methods and formulas that branched out from them. The formula of the statement was between: he said, and I said, including the manifestation of the meaning, the predicate, and the manifestation of the situation. The principle of dialogue is

achieved through the dialogue of the voices within the novel, of which the characters are representative, and each character plays its role through its name, features, characteristics, appearance, and speech, and according to its social affiliation and cultural level. The narrator speaks in a language common to everyone so that he is neutral, and the novel may also be interspersed with Languages of other genres, such as poetry, popular proverbs, and others that constitute an ideological position**.**

أولًا: مقدمة:

(محمد جبريل) روائي وقاص مصري ولد "بالإسكندرية" في ١٧ فبراير ١٩٣٨م، وكان أبوه محاسبًا ومترجمًا له مكتبته الخاصة التي أفاد جبريل منها في قراءاته الأولى، ويعدها سببًا أساسيًا في حبه للأدب. بدأ محمد جبريل حياته العملية سنة ١٩٥٩م محررًا بجريدة (الجمهورية) مع الراحل رشدى صالح ثم عمل بجريدة (المساء). ثم عمل في الفترة من يناير ١٩٦٧ إلى يوليو ١٩٦٨م مديرًا لتحرير مجلة (الإصلاح الاجتماعي)، وكانت تُعنى بالقضايا الثقافية. كما عمل خبيرًا بالمركز العربي للدراسات الإعلامية للسكان والتنمية والتعمير. وعمل رئيسًا لتحرير جريدة (الوطن) بسلطنة عمان(تسع سنوات)، ويعمل الآن رئيسًا للقسم الثقافي بجريدة المساء. نشرت بعض قصصه القصيرة في ملحق الجمعة الأدبي بجريدة الأهرام المصرية، ودُرست أعماله في جامعات السوربون ولبنان والجزائر، حصل على جائزة الدولة التشجيعية في الأدب عن كتابه "مصر في قصص كتابها المعاصرين" ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى. كما رُشح لنيل جائزة نوبل في الأدب .وقد قدّرتْ وزارة الثقافة المصرية دور السارد محمد جبريل، ومنحته هذا العام جائزة الدولة التقديرية في الأدب.

محمد جبريل صاحب الرصيد الضخم من الأعمال السردية رواية وقصة وسيرة ونقدًا، هو أحد الروائيين القلائل ذوي الأسلوب المتفرد في الكتابة، تجاوزت مؤلفاته الخمسين كتابًا من الكتب والإبداعات الأدبية في النقد والرواية والقصة القصيرة، التي استوحاها من الإسكندرية، البحر والبشر والأسواق والشوارع والعادات والتقاليد، فأصبحت نبضًا للكثير من لوحاته. بدأ مغامرة الكتابة السردية قاصًا ببواكير كتاباته (الملاك)، ومقلدًا رواية "الأيام" لطه حسين، التي رثى من خلالها أمه التي رحلت قبل أن يبلغ العاشرة من عمره.

وله روايات ومجموعات قصصية تصل إلى خمس عشرة مجموعة قصصية، تجارب خصبة بعد أن وضع حجر الأساس في عالمه الفني والإبداعي

بمجموعته الأولى؛ "تلك اللحظة من حياة العالم" الصادرة عام(١٩٦٩)، ثم رواية "الأسوار" (١٩٧٢)، وقد رسخ إبداعه القصصي بمجموعته "انعكاسات الأيام العصيبة" (١٩٨١) التي ترجمت إلى الفرنسية، ورواية "إمام آخر الزمان" (١٩٨٤)، ومجموعة "هل" (١٩٨٧) التي ترجمت بعض قصصها إلى الإنجليزية والماليزية، ورواية "من أوراق أبي الطيب المتنبي" (١٩٨٨)، ورواية "قاضي البهار ينزل البحر" (١٩٨٩). ثم جاءت فترة التسعينيات التي كانت حافلة بالأعمال الأدبية والنقدية؛ حيث بلغ عدد أعماله اثنين وعشرين (٢٢) مؤلفًا منها: الصهبة (١٩٩٠)، قلعة الجبل (١٩٩١)، النظر إلى أسفل (١٩٩٢)، الخليج (١٩٩٣)، اعترافات سيد القرية(١٩٩٤)، زهرة الصباح(١٩٩٥)، الشاطئ الآخر (١٩٩٦) ترجمت إلى الإنجليزية، "حكايات وهوامش من حياة المبتلى" (١٩٩٦)، و"سوق العيد" (١٩٩٧)، و"انفراجة الباب" (١٩٩٧) التي ترجمت بعض قصصها إلى الماليزية، ثم أخرج لنا روايته ذات الأجزاء الأربعة "رباعية بحري": أبو العباس (١٩٩٧) ، ياقوت العرش (١٩٩٧)، البوصيري (١٩٩٨)، علي تمراز (١٩٩٨)... ثم صدر له "حارة اليهود " (١٩٩٩) و"رسالة السهم الذي لا يخطئ" (٢٠٠٠) و"بوح الأسرار"(٢٠٠٠) و"نجم وحيد في الأفق" (٢٠٠١) و"زمان الوصل" (٢٠٠٢).. صيد العصاري (٢٠٠٤) حكايات الفصول الأربعة (٢٠٠٤) غواية الإسكندر (٢٠٠٥) رجال الظل (٢٠٠٥) مواسم للحنين (٢٠٠٦) كوب شاي بالحليب (٢٠٠٧) المدينة المحرمة (٢٠٠٧) البحر أمامها (٢٠٠٧) أهل البحر (١) (٢٠٠٧) أهل البحر (٢) (٢٠٠٨) ديليت (٢٠١٣) مدينة تخصه ٢٠١٣، ظلي الضائع ٢٠١٣، ذاكرة الأشجار ٢٠١٤ ،مقصدي البوح لا الشكوي ٢٠١٥، حلق وحيدا٢٠١٦، نجمة المساء تأتي في الموعد (٢٠١٦)، ورثة عائلة المطعني (٢٠١٧) ما بقي من العمر (٢٠١٧)، النفي إلي الوطن(٢٠١٨)، سكة المناصرة (٢٠١٩).

وكتب في أدب المقال العديد من الأعمال الأدبية الأخرى، وكتب في السيرة الذاتية، والتراجم، وعلم الاجتماع الأدبي. والدراسات النقدية التي تنم عن الغزارة في

الفكر، والتنوع في الإبداع، كما صدر له العديد من الدراسات الأدبية، مثل: "قضية الثقافة في الأقاليم" (١٩٧١) و"مصر في قصص كتابها المعاصرين" (١٩٧٣)؛ والتي حاز بها على جائزة الدولة، ثم "نجيب محفوظ – صداقة جيلين" (١٩٧٣) و"السحار.. رحلة إلى السيرة النبوية" (١٩٩٥) و"مصر المكان – دراسة في القصة والرواية" (١٩٩٨) و"البطل في الوجدان الشعبي" (٢٠٠٠).. تاريخ حافل بالجد والعطاء لم ينضب قط، فما زال العطاء والإبداع مستمرًا إلى الآن.

نظرا لأسلوبه المتفرد في الكتابة استرعى نظري طريقته الفريدة وأسلوبه اللغوي في إدارة الحوار في رواياته، ومن هنا انبثق هذا الموضوع:

الخطاب الحواري في روايات محمد جبريل .. دراسة أسلوبية

في محاولة لدراسة التشكل اللغوي والتصويري ودوره في العملية السردية على مستويات بناء الرواية وخطابها ولإظهار الصورة التي يتمتع بها هذا السارد ورؤيته الفنية في رواياته. ومما يساعدنا في دراسة النص معرفة المؤلف وسيرته والظروف العامة والخاصة التي أثرت عليه؛ إذ تعد عاملًا مساعدًا في تحليل النصوص الأدبية وتفسيرها، فالسيرة الشخصية للروائي هي من الروافد والمنابع الأساسية لتشكيل التجربة الفنية للمبدع، التي تشكل الاتجاهات الرُوحانِيّة والوجدانية لديه.

من منطلق المسيرة الفنية الطويلة للسّرد عند محمد جبريل، ومن منطلق أهمية الخطاب الحواري في فنون السرد بعامة، تحاول هذه الدراسة تحليل ما أسمته (النص المكتنز) وهو الجملة الحوارية؛ حيث أن الحوار في الفنون السردية يركز الدلالات والوجوه البلاغية تركيزًا يوجه حركة المعني في العمل السردي؛ وذلك لما للحوار من معان وإشارات كاشفة عن الشخصية، ومفسرة للمواقف، وملخصة لأهداف السرد، ورابطة بين فقراته، وذلك بتعدد وجوهه البلاغية المتنوعة بين التصوير البياني بما فيه من تخييل، ومن الإيحاء والرمز، والإيجاز، أو المباشرة، و التصريح، والإطناب، مع ربط ذلك كله بالمتكلم والمقام.

وتقتضي دراسة الحوار الاستعانة بالتحليل الداخلي للنص، وبالقدر نفسه الاستعانة بالتحليل الخارجي، في الجانب الأول أستعين بالوصف والاستقراء والتحليل والتأويل لاستخراج الظواهر البلاغية من النص، وفي الجانب الثاني أقف علي الوشائج التي تربط بين النص ومبدعه، من ناحية، وبين الجملة الحوارية والموقف السردي؛ بغية توضيح الأفكار، واستجلاء المعاني، والمواقف علي مبدأ (لكل مقام مقال).

الدراسات السابقة:

صدرت دراسات عديدة عن أدب محمد جبريل متناولة جوانبه المختلفة- كما يبدو في ثبت المراجع- لكنها لم تتناول الجوانب البلاغية في سرده سواء كان ذلك في العرض والتصوير، أم في الحوار والنجوي الداخلية (المنولوج الداخلي) للوقوف عند المكون الاستعاري في الخطاب السردي، ولتحليل النص الروائي من الداخل، أي تحليل المستوى التركيبي. وقد دفعني ذلك إلي الاهتمام بالجانب البلاغي في حوارات محمد جبريل، تلك التي لم تنل عناية الدارسين برغم أهميتها.

حيث إن (الخطاب يتجه نحو التواشج بين الفكر واللغة، ودراسته تبحث تعبير الفكر عن نفسه في اللغة)(١) تلك الوسيلة المستخدمة في توضيح موضوعٍ ما بالاعتماد على وجود حوارٍ ينقلُ الأفكار المرتبطة بالموضوع بأسلوبٍ واضحٍ.

تعد اللغة من أهم مكونات الخطاب الروائي بجانب الرؤية السردية والبنية الزمنية والفضاء والشخصيات والوصف والأحداث، لكنها المادة الشكلية التعبيرية التي ترتكز عليها الرسالة الإبداعية التي يرسلها الكاتب إلى القارئ أو هي شفرة وسيطة بين المبدع والمتلقي تحمل نوايا المؤلف وأطروحاته عبر جمل متنوعة: سردية ووصفية ومشهدية وبلاغية وحرفية، ومستنسخات تناصية، أو تعابير تقريرية، أو أساليب إيحائية انزياحية ورمزية. لذلك يتم التركيز عليها. ومن ثم فأي روائي لا

[١]- سيميوطيقا اللغة وتحليل الخطاب الإعلان التلفزيوني تأليف دكتورة حسنة عبدالسميع، كلية الآداب – جامعة عين شمس طبعة ٢٠٠٥ عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

يملك ناصية اللغة وقواميسها الحرفية والمجازية، ولا يحسن توظيفها توظيفًا أدبيًا ساميًا ولا يستثمرها في سياقات تواصلية وتداولية ذات مقاصد فنية وتعبيرية في قمة البلاغة والجمال والروعة الفنية فإنه لن يستطيع أن يكون كاتبًا روائيًا ناجحًا ومتميزًا. ومن ثم يمكن القول: إن الرواية هي تشخيص اللغة وتصوير الذات والواقع اعتمادًا على التشكيل اللغوي

ويعد تحليل الخطاب أداة من أدوات البحث تدرس أبنية النصوص، وتهتم بأبعادها اللغوية، والاجتماعية، والثقافية، من أجل فهم تشكيل المعني. ومن ثم يتلاقي مع اتجاهات تهتم بإنتاج المعني فنظرية الاتصال وثيقة الصلة بحقول البنيوية والسيميوطيقا ؛إذ تري المعني محصلة فعل اتصال أركانه (مرسل) و(رسالة) و(مستقبل) و(قناة اتصال) تمر عبرها وسياق محيط. والنقد البلاغي – الذي اتخذ الاتصال إطارًا له أكثر منه منهجًا – رأي في كل خطاب حضورًا وتفاعلًا بلاغيًا لدراسة الطرق التي تستخدم بها اللغة في النصوص والسياقات. ويشير تحليل الخطاب دائمًا إلى تحليل خطاب الحياة الحقيقية أو اللغة التي تحدث بشكل طبيعي؛ تؤخذ بيانات الخطاب من النصوص المكتوبة أو التسجيلات الشريطية. يستخدم تحليل الخطاب في مختلف التخصصات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، تحكمه قوي سياسية وتاريخية واجتماعية لها رموز ذات مقاصد تؤثر في سلوك القارئ وأفكاره وأفعاله؛ ومن ثم عد النص – إنتاجه ووسائل إقناعه – مهمة الخطاب الذي اتجهت البلاغة لدراسته علي أن يكون أسس الفكر اللغوي الذي حدد (دي سوسير) إطاره بناء علي فهم الدال(**signifier**) بوصفه الصورة السمعية والبصرية التي تتلقاها، والمدلول (**signified**) بوصفه المعني العقلي الذي تستدعيه الصورة وترتبط به في نظام، وهو ما يدل على علم السيميوطيقا. لكن دراسة الخطاب عند (بارت) تحولت من النظرة البلاغية للنظرة اللغوية، وعلي ذلك يقودنا تحليل مضمون الخطاب في الحوار إلي أن نميز المفاهيم والتصورات الخاصة بمواضع الشغف دخل المضمون، ونفهم العناصر الدلالية في الرسالة كتيمات القيم والميول

والتوجهات والمعتقدات، وطريقة تعبير الأشخاص والأشياء من جانب، ومن جانب آخر نبحث الوحدات الرمزية من تركيب داخل بنية المضمونن والذي من شأنه أن يطور السرد، ويعطي تفسيرات متنوعة للبناه .

أنواع الخطاب الحواري:

– الخطاب الحواري البياني، حيث يوظف الحوار التصوير والتخييل في صور جزئية أو كلية، تستند إلي:التشبيه،أو الاستعارة أو الكناية، لهدف فني يثري المعنى.

– الخطاب الحواري البديعي، حيث يوظف الحوار ألوانًا من البديع لخدمة المعني.

أنماط الخطاب الحواري:

الخطاب الحواري الاستفهامي: الحقيقي وغير الحقيقي.

أسلوب التمني

أسلوب التعجب

التكرار

التوكيد

بين الإيجاز والإطناب والمساواة

التورية

توظيف الأمثال والحكم

التناص

أنموذج بحثي أولي لقضية من البحث بعنوان "مقصدي البوح لا الشكوى": إن الروائع الأدبية التي كتبت عن المرض، وفي المرض، كثيرة، نضيف إليها "مقصدي البوح لا الشكوى" لمحمد جبريل – رواية تسجيلية – صادرة عام ٢٠١٦ من الهيئة العامة لقصور الثقافة، تتكون من ١٦٢ صفحة. سرد واقعي يطلعنا من خلالها على جزء من سيرته الذاتية وتجارب حياته ومراحل عمره المختلفة في مجالات العمل وبناء الأسرة وغيرها، يكتبها في صيغة عمل روائي تتوافر به

خصوبة الخيال، ومقومات الرواية من تنامى الأحداث والتشويق، وكأنه يكمل الجزء الأول من تلك السيرة الذاتية العامرة بالبوح والكشف والأدب الرفيع في رواية "حكايات عن جزيرة فاروس".

يؤرخ جبريل في "مقصدي البوح لا الشكوى" سلسلة من الوجع والألم الذي عاناه، وألمَّ به عبر محنة صحية هائلة، بعد إجراء عملية أسفل العمود الفقري، لم تكلل بالنجاح لأنها كانت تريد متابعة معينة وتثبيت العظام بعدها.حول الروائي الألم إلى عمل أدبي وصف معاناته ومعاناة أسرته واستبطن إحساس الإنسان وهو يواجه لحظات القلق على حياته ذاتها. وله تجربة متميزة في رواية تسجيلية، تسبق " مقصدي البوح لا الشكوى" كتبها من وحى عارض مرضى مر به في سنوات مضت بعنوان «الحياة ثانية»، أزمة مرضية قلبت حياته الشخصية، استطاع عبر قلمه صهر التجربة المرضية ، ارتفع فوقها وتأملها، ثم تمكن من صياغتها في عمل أدبى، سرد تلك الأحاسيس التي تراودنا جميعًا ونحن نمر بمحنة المرض، ونتوجع بالآم قد يصعب وصفها وصفًا دقيقًا .

رواية تمثل سيمفونية الوجع ، أحال فيها معاناته إلى إبداع تناول تجربته مع المرض، وأحالها إلى جمال فنى. في الصفحة الأولي تناص مقتبس لتوماس مان "الإنسان لا يموت دون أن يوافق على موته"، وتنتهي بتناص أيضًا لمحمود درويش أحد الشعراء البارزين "إني هنا ما زلتَ حيّاً " وبينهما يسرد تلك الرغبة في التمسك بالحياة وحبها وكراهية المرض الذي يداهم الإنسان، لعل الموت الذى يقصده (توماس مان) هو الموت حياً! فأحيانا نرى الإنسان يعيش كأنه ميت! وبين الاقتباسين تجول الكاتب بنا بين ضفاف روايته.

يبدأ روايته التسجيلية بكلمات أهداها إلي الزوجة الدكتورة زينب العسال رفيقة الدرب والونس، من تحملت معه مشاق الرحلة العلاجية بكل تفاصيلها، فكان يتوكأ عليها مثلما يتوكأ على عصاه، أخذ معها القرارات الصعبة كضرورة إجراء العملية، وتناقشا في مدي نجاحها، شاركته التردد على الكثير من العيادات والمستشفيات

ومعامل التحليل ومواعيد تناول الأدوية، واستبدال أدوية بأخرى. يذكرها في لحظات ما يُعرَف بالانخطاف للوراء (فلاش باك) أثناء عملهما في سلطنة عمان معلمة تهوى الصحافة والأدب، وهو كاتب وصحفي يحرر جريدة "الوطن" العمانية – لعل سبب آلامه مع العمود الفقرى التى تلازمه وقوفه أكثر من ٢٤ ساعة يوم صدور العدد الأسبوعي؛ حتى تفاقمت آلام العمود الفقري والساق. كما يبوح في ملاحظة عابرة عن جريدة الوطن العمانية؛ والتي عمل فيها سنوات ، لمسات إنسانية حانية يذكرها في سياق حديثه عن رحلة المعاناة؛ لزوجته التي ظلت تنير له الطريق وتخفف عنه من وطأة الواقع؛ وفي لحظة إنسانية رائعة يتساءل [١]"ماذا لو أن زينب العسال لم تظهر في حياتي؟"

ماذا لو أنى واجهت المرض بلا رفيقة تحتضنني برعايتها؟

ربما تقترب هذه الرواية التسجيلية وذلك النوع من أدب الوجع و الألم الشخصي من رواية "حدوتة مصرية" (انطلاقاً من قصة، أو من فكرة كتبها يوسف إدريس، والتي أخرجها للسينما المصرية يوسف شاهين، وقام ببطولتها نور الشريف، حيث يتناول شاهين أزمته الصحية التي تعرض لها. كما يروي قبسًا من حياته كجزء ثان من سيرته الذاتية، ويحاكم نفسه على طريقته، محاكمة تعرية لشاهين نفسه، وربما أيضًا للواقع المصري كله، يتابع تلك الحياة، يروي فصولها، يحاكمها من دون رحمة أو هوادة، ويسافر علي أثر مرضه لإنجلترا للعلاج، لكن جبريل في "مقصدي البوح لا الشكوى" لم يسافر للعلاج إلى الخارج، إنما هتك ستر الواقع المصري، والمنظومة الطبية والعلاجية، اطلعنا من خلالها على مصر المعاصرة، وكشف لنا أساليب التعامل مع البشر والمرض خلال السنوات الحالية. هو أشبه شيء بهذه الحكاية خاصة أنه عاصر إضراباً للأطباء للمطالبة بحقوقهم بعد ثورتي ٢٥ يناير و٣٠ يونيو.

[١]– "مقصدي البوح لا الشكوى" لمحمد جبريل، ، رواية تسجيلية، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٦، ص ١١٢.

يبوح جبريل "إضراب الأطباء يعني التقاعس عن أداء واجب يتصل – مباشرة بحياة المواطنين".(١) ويضيف:"لم أتصور أن الأطباء يعاقبون المرضى، حتى يحصلوا على حقوقهم من إدارة المستشفى".(٤)

وفي موضع آخر" أما الفقراء فليس من حقهم أن يمرضوا، من العيب أن يمرضوا".(٥)

لعله يتغافل عن ألمه الشخصي ووجعه البدني، ليعرض لنا مشهدًا من وجع مصر وآلامها المعاصرة، كما قدمها سابقًا في "مصر في قصص كتابها المعاصرين"، و"مصر المكان". إنه وهو على فراش المرض والوجع يشخص أمراض مجتمعنا من خلال التردد على العيادات والمستشفيات والصيدليات والتعامل مع الأطباء وبقية المرضى. ثم ينتقل بنا للحديث عن إضراب الأطباء؛ ويقول (لم أتصور أن الأطباء يعاقبون المرضى؛ حتى يحصلوا على حقوقهم)، كما تحدث عن الجشع والتدليس المادى من بعض جهات العلاج الخاص وخصوصا المستشفيات وعن سلوكيات بعض الأطباء تجاه المرضى يحدثنا عن ذلك الطبيب الذى (كان الإعجاب بالذات يتناثر من رذاذ فمه) وكان مع فريق علاج حسنى مبارك؛ وتعامل بقسوة، وسوّد الطريق، وسد منافذ الأمل أمامه؛ حتى أنه طلب مبلغًا خرافيًا لإجراء عملية لا يوجد فيها احتمال واحد للشفاء! وتحدث عن التأمين الصحي للجميع في دول الغرب مثل ألمانيا وغيرها.

الرواية بها أحداث كثيرة وشخصيات جمة تتفاعل مع بعضها البعض لكي تعطي القارئ المتعة والفائدة. يذكر جبريل الأسماء والأماكن والتواريخ صراحة في هذا العمل، إمعانا في التسجيلية، وفي السيرية، فنرى أنها أبطال داخل العمل، أو أنها من شخصيات العمل الروائي، وننسى أنها شخصيات واقعية حقيقية نعرف معظمها معرفة شخصية، مثل نجيب محفوظ وفؤاد قنديل وصابر عرب (وزير

١- "مقصدي البوح لا الشكوى" لمحمد جبريل، رواية تسجيلية، الهيئة العامة لقصور الثقافة٢٠١٦، ص٣٣

٤- السابق ص٣٤

٥- السابق ص٤٣

الثقافة الأسبق) ود. محمد زكريا عناني، ومنير عتيبة ود. عبدالمحسن صالح ويوسف الشاروني وغيرهم. وشخصيات جبريل تعبر عن إيديولوجياتها من خلال أفعالها ومواصفاتها وملامحها وكل شيء يخصها يتوفر في يدي الكاتب، فيصور به إيديولوجيا معينة، تتبادل الشخصيات إيديولوجيات متعارضة، يحقق جبريل بها مبدأ الحوارية للأيديولوجيات المختلفة.

سرد الوجع والمرض كما فعل الشاعر المصري المشهور أمل دنقل في "أوراق الغرفة ٨" الذي صدر (١٩٨٣) هو الديوان الأخير لأمل دنقل، ويضم هذا الديوان، الذي نشرته زوجته، الكاتبة والصحفية «عبلة الرويني»، بعد أربعين يومًا من وفاته، القصائد الأخيرة التي كتبها أمل دنقل طوال فترة مرضه، وتحديدًا في هذه الغرفة، فقد ظل أمل يكتب الشعر وهو على سرير المرض، على علب الثقاب وهوامش الجرائد، ولم يهمل الشعر لحظة حتى آخر أيامه. وخاصة في قصيدته الرائعة "ضد من؟" ووصف عمقٌ الوجع على الرغم من اختلاف الحالة المرضية بينهما إلا إن المنبع واحد فأحاسيسٌ كهذه تحتاجُ إلى "التجربة " حتى تصِل إلى هذه الدرجة من تجسيد (الوجع) باحتراف، ولا يملك الكاتب أو الشاعر سوى التغني بهذا الألم وذلك الوجع ليهدينا روائع أدبية إنسانية خالدة من تفاوت تأثيرات المرض في طبيعته وضراوته، وتفاوت البشر في القدرة على تحمله، وفي كيفية مواجهته. فالبعض يقنط ويضجر، والبعض يرضى ويصبر، البعض ينهار ويستسلم ، والبعض يقاوم ، وتظل هذه الحالة قائمة لنقارن ونوازن بينها وبين حالات أخرى، فالروائع الأدبية التي كتبت عن المرض، وفي المرض، كثيرة.

لعله يذكرنا بقول ميخائيل نعيمة: يطوي العبقري في خلال عمر واحد أعمار أجيال سبقته، وأجيال رافقته، وأجيال تأتي بعده. فيموت ليحيا. ويحيا غيره ليموت. وقد سبق جبريل المتنبي. يروي الشاعر كيف أن جسده قد ضاق بالحمى عندما أصرت على أن تحل فيه، فضاق جلده بالاثنين: المتنبي والحمى، فراحت الحمى توسع جلده، تزيد من الأمراض والآلام الشديدة، نقرأ قصيدته وننفعل ونشاركه

وجعه فيقول المتنبي أنشودة "وصف الحمّى"، الذي سبق لجبريل الكتابة عنه في روايته التي تحمل عنوان "من أوراق أبي الطيب المتنبي":

وزائرتـي كـأنَّ بهـا حـياءً ** فليس تـزورُ إلّا في الظّلامِ
أبنتَ الدهر عندي كل بنتٍ ** فكيف وصلتِ أنتِ في الزحام
جرحتِ مجرحًا لـم يبق فيـه ** مكان للسيوف ولا السهامِ
يضيقُ الجلد عن نفسي وعنها ** فتوسعه بأنواع السقام

يبوح الكاتب في روايته الواقعية بأحداثها الحقيقية، ويعرض لحال جسده المتعب، وكأن الكتابة علاجًا فتنهمر عيوننا دمعًا سخيًا، يرتد لذكريات الطفولة، لنرى شخصيات طبية نادرة مثل د. أنطون المشرف على ولادته؛ والذى بال في يده؛ وإلى عم محمد حلاق الصحة الذى يثق فيه أبناء بحرى؛ والدكتور مردروس الأرمنى الذى كان طبيب الأسرة، وله معه ذكريات حتى وفاة والدته، وانتهاء بخروج الأرمن من مصر. لا يكتفي محمد جبريل بالعودة إلى الوراء خلال حياته الشخصية، ولكنه يعود إلى الوراء من خلال حياة مصر أيضًا، حيث يشير إلى الأطباء المصريين في مصر الفرعونية أو مصر القديمة، ويدوّن قَسَم المصري أبقراط الذي صار التزاما لكل أطباء العالم قبل مزاولتهم لمهنة الطب، بل إنه يعود إلى الأدب العالمي القديم والحديث ليستخرج لنا كنوزًا أدبية تلائم حالته المرضية، أو تتوافق، وتنسجم معها، فنسمع الشاعر الفرنسي آرثور رامبو يقول لشقيقته: "سأوارى تحت التراب، أما أنت فتسيرين في ضياء الشمس".

مقصدي البوح لا الشكوى بدأ صفحاتها بإفاقته من البنج، وشعوره كأنما يُبعث إلى الحياة من جديد؛ ويتطلع إلى ما حوله كالغريب؛ يحدثنا عن رواية لموليير (رائد الكوميديا في تاريخ الفن المسرحي الأوروبى) اسمها " المريض بالوهم " (١٦٧٣). وعن الإمامِ الصوفيّ «عبد الوهاب الشعراني» الذى يقول إن المريض إذا كتم مرضه عن الطبيب؛ فلن يسعفه بعلاج، يتكلم عن الحساسية – حساسية الصدر – وعن الروائى إدوار الخرّاط الذى قرأ له كتاباته عن الحساسية الجديدة؛

ويسجل أن الحساسية أنواع منها ما هو عضوي، ومنها ما يتصل بالإبداع؛ ومن المعروف علميًا أن المريض بحساسية الصدر يظل يعانى منها على فترات، أو تأتى على شكل نوبات، ولها العديد من الأسباب؛ يقول الراوي إنه تم استئصال اللحمية لعلاج الشخير بعد أن ذكر بأريحية؛ إنه اضطر الى الاستعانة بدجال لعلاج لحمية الأنف فوضع له نقاطا أفقدته حاسة الشم ؛ أدرك فيما بعد أنها ماء نار كما أبلغه طبيبه الخاص. ولكن الحساسية تظل تعالج بالكورتيزون، ذلك السلاح ذو الحدين، ويبوح ببعض نصائح الأطباء التي يكررونها على مسامعه مثل الاقلاع عن التدخين والتقليل من النشويات والدهون والامتناع عن أكل اللحم الأحمر والإكثار من الخضر والفواكه وممارسة الرياضة، وكأنه يقوم بدور الناصح للقارئ أو يقصد به إثارة الاهتمام أو تثقيف السامعين أو القراء،.

كان يضايقه تعثره في المشي وسقوطه في الحمام وأمام باب الجريدة؛ وتلك المشية المهتزة جراء سقوط القدم. الغريب في آلام محمد جبريل ووجعه أنه كما قال أحد الأطباء "يحدث مرة كل مليون". يقول له الطبيب: أنا من مدرسة تصارح المريض بحالته، ثم أردف بابتسامة طفل: هذه الإصابة تحدث مرة كل مليون.

إصابة في العمود الفقري، يقول الطبيب عن احتمالات العملية الجراحية في هذا الموضع – بعد رؤيته لصورة الأشعة – إنها احتمالات أربعة: تلوث أو التهاب، فقد السيطرة على البول والبراز، شلل رباعي، موت. ثم يضيف: قد أجري عملية وإن كنت لا أعد بنتائجها. وعلى ذلك يدخل المريض محمد جبريل الحجرة المستقلة رقم ٤١٢ في الطابق الرابع بمستشفى عين شمس التخصصي.

بعد العملية التي أجراها الدكتور علاء عبد الحي أصبح الكاتب محمد جبريل مريضًا لم يكتمل علاجه، فالطبيب نسي تثبيت العظام، وصار عموده الفقري – كما أثبتت الأشعة – معلقاً في الهواء! ويتطرق إلى الحديث عن الدكتور علاء عبدالحى وعملية الغضروف؛ وشرود ذهنه أثناء توجهه لإجراء العملية. لحظات متباينة من الأمل واليأس والحياة والموت والخوف والإرادة واليقين الديني والتعاطف والمشاركة

والحب والقلق وتوقع المجهول، ثم تغطى تلك المشاعر برداء من السكينة؛ لا ملامح ولا قسمات ولا صوت، الأبدية مطلقا، لا قبل ولا بعد، التواصل في الذات، الامتداد إلى الداخل نظرة عميقة فلسفية شاملة لأحوال الحياة والموت.

صفحات دسمة من نظرة فلسفية للحياة والموت؛ بعد العملية يذكر كلمات لمشاهير أمثال ماركيز وسوفوكليس؛ كما يذكر قول الدوس هكسلى"إذا كنت تخاف من الموت فسوف تموت بالتأكيد" وتتدافع الأسئلة لتولد المزيد من الحيرة والتساؤلات: لماذا يشيخ الانسان ويموت؟ لماذا يولد الانسان ؟ وهكذا بعد العملية يبدأ مشوار من المعاناة لعدم تثبيت الفقرات بعد العملية التي أجراها له جراح المخ والأعصاب علاء عبد الحى؛ يتردد على مراكز وأطباء للعلاج الطبيعي، لكن بدون فائدة تذكر؛ ظل يعانى الآلام وسقوط القدم وعدم التحكم في مشيته فيبوح : (أتذكر يوم وقعت على إقرار قبل اجراء عملية لي وفى هذا الإقرار ما يدل على موافقتي على إجراء العملية حتى وإن أدت إلى الوفاة! ولكن ذلك لا يعفى الطبيب من مسئوليته عن المريض).

يبوح لنا بأنه :(ذات عصر يشعر بما يشبه النيران تتصاعد في ساقه اليمنى؛ أثناء وقوفه منتظرًا قطار القاهرة في محطة سيدى جابر. بثقافته الواسعة؛ يخبرنا الكاتب أن دواء دافلون لا يصلح معه لعلاج الآثار السلبية للجاذبية على انتفاخ القدمين والتي يسببها الوضع جلوسًا لمدة طويلة. تتضافر الدهشة والحيرة، لأن الرواية محملة بعناصر التشويق والفجيعة التي تجعلنا نواصل القراءة كي نعرف تبعات هذه العملية، وما أدت إليه من أحوال مرضية وحياتية لبطل الرواية.

ورغم أن البطل في أشد الأحوال سوادًا وحلكة يتشبث بالأمل والحياة والجمال، فيحدثنا على سبيل المثال عن صوت فايزة أحمد (أحب الأصوات إلى نفس السارد أو الكاتب أو جبريل)، كما أنه يستحضر عذابات وآلام الآخرين، سواء من أصدقائه أو من الأدباء الآخرين، ربما ليخفف وطأة المرض عن نفسه وعن قارئه عملاً بالمثل الدارج "اللي يشوف بلاوي الآخرين تهون عليه بلوته".

إنه لا يملك سوى إرادة المقاومة والتشبث بالحياة. وفي هذا يقول قرب نهاية الرواية: "تاريخي المرضي حافل بالكثير من الأعراض والآلام والمسكنات والعمليات الجراحية والتوقعات. قيمة الحياة دفعتني – ولا تزال – إلى مقاومة ما أواجهه من تطورات سلبية".

يتعلم ويكتب ويجرب يفشل وينجح كما حدث مع ظهور وانتشار الكمبيوتر. ابنه وليد هو الذى شجعه على استخدامه، ويعود ثانية إلى تلميذ –كما يقول – يبسّط له وليد عمل الكومبيوتر.

تُختتم الرواية التسجيلية الدسمة بتمني الشفاء وساعتها سوف يبدأ المشي بلا توقف "أنضم لتيارات الناس والزحام؛ أخترق الأسواق والشوارع والميادين والحوارى والأزقة، نراه يسير على الكورنيش من رأس التين حتى المنتزه، يستعيد رؤاه وذكرياته، يذكرنا بأعماله الروائية وكتاباته المتعددة، لا يدركه الملل، ويستعير قول محمود درويش: إني هنا، ومازلت حيا. يستعيد رؤى وذكريات، لا يدركه الملل.

عندما نطبق ما سبق علي إحدي روايات محمد جبريل، فهناك خطاب الحكاية الذي تحدث عنه جيرار جنت في كتابه خطاب الحكاية، وهناك الخطاب الحواري، وبهذين يقوم السرد وينهض برسالته، ليأتي الحوار معبرًا عن أفكار الشخصيات، وعقائدها وسلوكها، وفكرها، ووجهات نظرها. بل يؤثر في هيكل السرد أو النص الحواري وهو وسيلةٌ من الوسائل المستخدمة في توضيح موضوعٍ ما، بالاعتماد على وجود حوارٍ ينقلُ الأفكار المرتبطة بالموضوع بأسلوبٍ واضحٍ .

فإذا كانت الحكاية تُسرّع الزمن والأحداث فإن الحوار يبطئ الزمن والأحداث مهما رأينا من أعمال قصصية قصيرة قد تخلو من الحوار، أو تختزله، وفي الوقت نفسه قامت أعمال فنية علي الحوار، منها–على سبيل المثال– أمام العرش لنجيب محفوظ، والسائح والترجمان لتوفيق يوسف عواد، والحفاة وخفي حنين، والاشقياء و السادة وهما ليوسف زرزور، وبابل الخاطئة، ونبي نينوي لمحفوظ أيوب، وغيرها.

يقصر الحوار أو يطول لكنه مرتبط بالراوي العليم بكل شيء في عالم السرد. وقد يخفف الخطاب الحواري من سطوة ذلك الراوي ويحدث توازنًا في السياق السردي ، وذلك لما للفعل الحواري:- (قال) من تحديد (القائل)، و(المقول) معًا،(ارتباطًا بموضوع السرد ومساراته، وتلك وظيفة مهمة من وظائف الحوار مما فيه من تكييف و تركيز هدفه الوصول إلي الدلالة الفنية، وتجسيد الهدف الفني، والارتباط بالمضمون العام ، وهو البطل السارد – وهو المؤلف – من ناحية ومرضه، أو أمراضه ، ومن ثم طبيبه، أو أطباؤه من ناحية ثانية.

ولهذا قام الخطاب الحواري علي عمودين أساسيين هما: القول، والاستفهام، وما تفرع عنهما من الأساليب والصيغ كانت صيغة القول بين: قال، وقلت، بما فيها من إظهار المعني، والخبر، وإظهار الحال. ليتحقق مبدأ الحوارية من خلال تحاور الأصوات داخل الرواية، والتي تكون الشخصيات ممثلة لها، وكل شخصية تؤدي دورها من خلال اسمها وملامحها وصفاتها ومظهرها وخطابها، وحسب انتمائها الاجتماعي ومستواها الثقافي.. والراوي يتكلم بلغة مشتركة لدى الجميع حتى يكون محايدًا، كما أن الرواية قد تتخللها لغات أجناس أخرى كالشعر والمثل الشعبي، وغيرهما مما يكون موقفا إيديولوجيا.

قال صوت لم أتبين صاحبه: تحمل!

قال: لكل داء دواء . وهو تناص شعري لقول أبي الطيب المتنبي:

لِكُلِّ داءٍ دَواءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ إلاّ الْحَماقةَ أَعْيَتْ مَنْ يُداويها

قال في ثقة: ومن السموم الناقعات دواء!

قال الطبيب في لهجة مشفقة:

قال: لأنه خالي

قلت أذكر أني تعاطيت كل ما يخطر علي البال من أدوية

قلت للدكتور.....

إن تعدد الأصوات السردية داخل الحوار ينقلنا لمستويات عدة تتراوح بين الحوار الداخلي وصيغ الاعتراف حيث يحملنا الضمير (أنا) لمنطقة من أخص المناطق الشخصية والتجارب الذاتية، بينما يقوم الضمير(هو) بدور الصديق أو المستشار كمحاولة للتغلب علي المساحة التي تنأى به عنا. وقد يأتي من وراء الشخصيات والأحداث والحوار مراقبًا خارجيًا أو داخليًا، تمثله ضمائر لجماعة (نحن) بأشكالها المختلفة – إذا اعتمد الكاتب أسلوبًا في طمس صوته، وفي تحقيق الحوارية، ليخرج برواية هزلية لا محالة، و هي الأمثل في تحقق تعدد الأصوات وتحاورها.

هذا ما يتصل (بمقتضي الحال)، ويسمي الاعتبار المناسب؛ لأن الحال هو الأمر الداعي إلي إيراد الكلام علي صورة مخصوصة، وظاهر الحال هو المتطلب إيراد الكلام علي صورة مخصوصة. وهي هنا موقف المريض، وهو الراوي والمؤلف معًا، الذي يعاني أمراضًا عديدة، ويتردد علي الأطباء ويناقشهم ويسمع منهم، ويتلقى منهم النصائح والتوجيهات والتحذيرات، حسبما نري في نوع الأساليب البلاغيّة، في السطور القادمة.

الاستفهام، أو السؤال والجواب:

العمود الثاني من عمودي السرد القصصي هو الاستفهام بتعدد وجوهه وأدواته ودلالاته، فالاستفهام في معناه الحقيقي: السّؤال، طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا للسائل وقت الطلب. قد يخرج الاستفهام عن هذا المعني إلى معانٍ أُخرى تُفهم من السياق، تعرف بأغراض الاستفهام البلاغية منها (التعجب – النفي – الإنكار– التوبيخ – التسوية – التقرير – التعظيم – التهكم والسخرية– التحسر– الاستبطاء– التحقير). الأغراض تفهم من خلال السياق، وتعرف من خلال الموقف الذى يقال فيه، وحالة الأديب النفسية والجو الشعوري المسيطر على الحدث. وسر جمال الاستفهام البلاغي أنه يعطى الكلام حيوية ويزيد من اللا إقناع والتأثير، كما

أن فيه إثارة للقارئ وجذبًا لانتباهه وإشراكًا له في التفكير ليصل بنفسه إلى الجواب دون أن يملى عليه. و من الأغراض البلاغية للاستفهام:

النفي: إذا حلت أداة الاستفهام محل أداة النفي، وصح المعنى

كيف : اسم استفهام للسؤال عن الحال.

كيف أقف إذن؟ كيف أجلس لأكتب؟

إننا هنا إزاء حوار داخلي (مونولوج) يجري في ذهن بطل القصة ، صراعاً نفسياً داخلياً في وجدان جبريل حول طبيعة الحياة التي سيحياها بعد المرض، ويتجلى هذا الصراع بوضوح في هذا الحوار الداخلي من الوجدان أو- النفس الموسوسة . وقد اختار الكاتب أن يستعمل ضمير المتكلم في التعبير لملائمته التامة لجو القصة وسياقها العام ولاستعراض الأفكار والأحاسيس.

إنَّ المساحة الواسعة التي يمنحها السرد

أينَ : هو اسم استفهام للسؤال عن المكان.

أين أشعر بالألم؟.

أين أنت؟.

متي: اسم استفهام يُستخدم للسؤال عن الزّمان.

ومتي تزداد شدته؟

متي العملية؟

متي أموت؟

متي أعود إلي مشيتي الطبيعية؟

لعل طابع الانتظار والذّعر يهيمن على هذا الخطاب المسرود الّذي يرسله الرّاوي خلال الخطاب المسرود الذّاتيّ الأقرب إلى المونولوج، ومُعينات هذا الخطاب المسرود الذّاتيّ هي الأفعال ذات الصّلة بصورة الرّاوي النّفسيّة.

ما: أسماء استفهام للسؤال عن غير العاقل.

ما القدم الساقطة؟

هل:

هل قلت إن قدمك تخبط الأرض؟

هل كنت تعرفه؟

لماذا:

لماذا إذن أنا هنا؟

السرد بضمير المتكلم وسيلة من الوسائل التي تعين الكاتب على نقل مشاعره وإحساساته إلى القارئ و هي أكثر الوسائل استعداداً لإبراز الإحساس الذي ينقله القاص دراماياً فيتوغل في أعمق أعماق الشخصية ويبوح عن أدقّ المشاعر بطريقة مونولوجية استذكارية أو اعترافية

كم:

كم تتكلف؟

لماذا؟ ، بعد سؤال متى أموت: لماذا يولد الإنسان؟ وما بينهما من تضاد، أو تكون (لماذا) للتعليل وذلك في تعقيبه: لأنه كان مريضًا. ويكتسب نقل المشاعر والأفكار جمالية خاصة حين يجتمع الصوتان الداخلي والخارجي لدى الشخصية المأزومة في إظهار حقيقة ما تعانيه.

حذف أداة الاستفهام: – تعرف نور وصلاح؟، – معقول؟

والاستفهام بين الانشاء الطلبي، أي طلب الفهم واستحضار صورة الشيء المستفهم عنه في ذهن المستفهم، بهدف (التصديق)،أو التصور.

والروائي يطعّم تجربته بأشكال من الاستعارات والإيماءات إلى أعمال أخرى بصلة من التّفاعل، ويتجلّى ذلك في الكثير من إحالاته إلى المثل والموروث الدّيني والشعبيّ والشّعر القديم.

الخاتمة

الرواية شكل أدبي لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البورجوازية وما صحبها من تحرر الفرد من ربقة التبعيات الشخصية. نوع من أنواع السرد، تحتوي على العديد من الشخصيات، لكل منها اختلاجاتها وتداخلاتها وانفعالاتها الخاصة. فهي كتابة فنية تحتمل التأويل المتعدد ولا تحسم دلالتها بانتهاء قراءتها. و الرواية في سيرورتها حاذت السيرة الذاتية والغَيريّة كذلك، استفادت من تقنية اليوميات والمذكرات والرسائل باحتضانها وتحويلها وفقاً لاحتياجاتها. فالتجربة الحياتيّة في الرواية ليست هي التجربة في الواقع؛ فلقد طالها التحويل لا النسخ أو الاستنساخ. ،وعليه فإن الرواية والسيرة الذاتية شكلان يمثّلان قطبين لجنسٍ أدبيّ مترامي الأطراف، تتخذ من حياة إنسان موضوعاً لها .

وقد اهتم الشّكلانيّون الروس بأدبيّة الأدب، وليس الأدب، ودعا تودوروف إلى استعمال الخطاب الأدبيّ موضع الأدب، وتبيّن أنّ دلالات الخطاب التي تتعدّد بتعدّد اتجاهات تحليل الخطاب من منظور سيكو-لسانيّ بأنّه متتالية منسجمة من الملفوظات، قد تتداخل أحيانا أو تتقاطع أو يكمل بعضها بعضًا.

ومقصدي البوح لا الشكوي لمحمد جبريل سيرة ذاتية، تتناول مشكلات الحياة، ومواقف الإنسان منها في ظل التطور الحضاري السريع الذي شهده المجتمع الإنساني خلال هذا القرن. والخطاب الرّوائيّ هو الطّريقة الّتي قدّم بها الكاتب مادته الحكائيّة في الرّواية. وقد تعدّدت مصطلحات تحليل الخطاب السّرديّ ومنها: وجهة النّظر؛ الرّؤية؛ البؤرة؛ كما حصر المجال الرّوائيّ في السّرد، من خلال ثلاثة مكوّنات: الزّمن. الصّيغة. الرّؤية السّرديّة.

تتضمن روايات فترة المرض رؤية فلسفية تلتفت إلى البداية المعبقة بروائح الميلاد، وتمر بظلال الماضي وأشخاصه، لتعبر نحو أنفاس النهاية المجهدة. حاول جبريل أن ينسج من الوهن الذي يكابده حياة أخرى، أو يستنطق الحياة في الماضي، وفي الأشياء الساكنة المحيطة به في سياق فلسفي. فحين يعتصر الألمُ الإنسانَ

الأديب، يفتِّش في حطام الذاكرة عن مرفأ يأتنس به ويجد الراحة فيه، فلا يجده سوى أحضان الماضي، حيث الهدوء والسكينة والوداعة، وحيث الوجوه الرفيقة الرقيقة، يستدعي منه ما يعيش عليه، فتتوارد عليه الوجوه، ومنها وجهه القديم، وجه الطفولة البريئة، وعندما يتأمله تتملكه الدهشة وينهشه التساؤل: «هل أنا كنت طفلاً.. أم أن الذي كان طفلاً سواي»

ثمَّة إحساس بالغربة يشعر به الإنسان «الروائي» المريض، غربة الذات حالةً وروحًا، وتشتتها بين ما كان وما أصبح، بين ملامحها القديمة ذات العذوبة، وتلك الحديثة التي تخلو من الرقة والطيبة.

ويهيّج المرض الذكريات، فتقبل عليه وجوه الماضي، وجوه الرفقاء، والبسطاء، والأبطال، هؤلاء الموتى الأحياء، ممن شاركوه الحياة والحلم، وتوارثت ذاكرته منهم ما تعيش عليه. يتذكر صورة أبيه، رمز الحماية والسند، وأخته رمز البراءة البكر، تلك الجوهرة المفتقدة في العالم. ثم تتوالى وجوه الأموات، وجهًا لوجه، هؤلاء الغامضون، الذين رحلوا وتركوا له الذكرى، الشيء الوحيد الذي تبّقى منهم، والشيء الذي لا ينفك ينهش فيه.

قام البناء الهيكلي في مقصدي البوح لا الشكوى على تعدّد التقنيات الفنية كالرّمز والحوار والتّناص والسّرد لتشكيل صورة فنيّة. ذات الخطاب أحد أشكال الاتصال الكلامي، ودراسته تهدف لتحليل أبنية النصوص من أجل الكشف عن تشكيل المعني.

أما عن لغة الحوار في سيمفونية الوجع والألم في "مقصدي البوح .. لا الشكوى" ، فهي لم تخضع لمستوى أدائيّ معيّن، فيها مستوى شحذ فيه المؤلّف موهبته وخبرته، فنزع إلى العامية وهو الغالب، ومستوى تراوح بين الشّعر والنّثر، وقد اعتمد على صور فنية ذات إيحاءات رحيبة، تتطلّب قدرًا من التأمّل الهادئ.

قدّم جبريل أحداثاً ووقائع حقيقيّة بصدقٍ ألزمها به ما أطلقَ عليه فيليب لوجون «ميثاق السيرة الذاتيّة»كتابةٌ تخلّقت من خيالٍ أعادَ صياغة بعض الأحداث

وقُصاصات الوقائع ليقدّمها للقارئ على سبيل التقابل والتوازي، وربما المفارقة، لا التطابق ولا الانعكاس. كأنه بالكتابةِ يقاومُ المحوَ، أو الإلغاء، أو التزوير؛ فالمكتوبُ باقٍ يشهدُ على كاتبٍ فانٍ. أعاد خلْق الأشياء ، وصياغتها كما يشتهي، فالغايةَ ليست التأليه البَشَريّ بقدر ما هي بَسْطُ رؤيته للعالم ولنفسه بالكلمة .

المصادر والمراجع

آ- المصادر:

- محمد جبريل، "مقصدي البوح .. لا الشكوى"، رواية تسجيلية- الهيئة العامة لقصور الثقافة، صادرة عام ٢٠١٦

ب: المراجع :

*إبراهيم خليل: بنية النص الروائي، بيروت منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ٢٠١٠م

- بنية النص السردي من المؤلف إلى القارئ الجامعة الأردنية عمان ٢٠٠٨م

*إبراهيم فتحي: الخطاب الروائي والخطاب النقدي في مصر: الهيئة المصرية للكتاب ٢٠٠٤م

* أ. مز فورستر: أركان الرواية، ترجمة: موسى عاصي – مراجعة سمر روحي الفيصل. الناشر دار جروس برس طربلس، لبنان ١٩٩٤ . ط١ .

*حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، بيروت، المركز الثقافي ١٩٩١م

*سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير) بيروت، المركز الثقافي العربي ١٩٨٩م

*سليمان الشطي: الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، الكويت، المطبعة العصرية ١٩٧٩م

*شحات محمد عبد المجيد: بلاغة الراوي وطرائق السرد في روايات محمد البساطي، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٠م

* عبد الرحيم الكردي: الراوي وتطور والنص القصصي، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٦م

-تطور التقنيات السردية في الرواية المصرية، مكتبة الآداب ٢٠٠٦م

*عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص: البنية والدلالة، الدار البيضاء، منشورات الرابطة١٩٩٦.

- تخيل الحكاية، بحث في الأنساق الخطابية، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة،١٩٩٨.

- التخييل وبناء الخطاب في الرواية العربية، التركيب السردي، الدار البيضاء، دار النشر والتوزيع مكتبة المدارس ٢٠٠٢.

- ما الحاجة إلى الرواية ؟ مسائل الرواية عندنا. الدار البيضاء. دار الثقافة ٢٠٠٨.

*عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق محمد خفاجي ، وعبد العزيز شرف دار الجيل بيروت ١٩٩١ م .

*عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي ، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي ١٩٩٠م

*عبد الواحد لؤلؤة: الجمالية ضمن موسوعة المصطلح النقدي، ج١، دار الرشيد بغداد ١٩٨٢.
*عادل عوض: الرواية الحوارية القاهرة دار النصر للطبع والنشر ٢٠٠٥م
* عفت الشرقاوي: بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية. الناشر دار النهضة العربية، بيروت الطبعة ١٩٨١م
* الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط٤ ج٢ ١٩٧٥.
* محمد أبو موسي: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، وأثرها في البلاغة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٨م - ١٤٤١هـ
* محمد عبد المطلب: بلاغة السرد، ،القاهرة الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٣، الطبعة الثانية
- بلاغة السرد النسوي، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٧
* مصطفى الورياغلي: الصورة الروائية: دينامية التخييل وسلطة الجنس، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م
* ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩.
* ناصر يعقوب: الرؤية والتشكيل، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠١م، ط١
* نجم عبد الله كاظم: * حوارات في الرواية، عمان ،دار الشروق للطبع والنشر ٢٠٠٤م، ط١
* نذير جعفر: بنية الخطاب السردي، مقاربات نقدية في الرواية العربية السورية، الناشر: الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ٢٠١٠.
* واين بوث: بلاغة الفن القصصي، ترجمة: أحمد خليل عردات، الرياض، مركز الترجمة جامعة مطابع جامعة الملك سعود ١٤١٥هـ ١٩٩٤
*يوسف أبو العدوس: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأهلية، عمان ١٩٩٧

ومن هذه الدراسات:

- الفن القصصي عند محمد جبريل، مجموعة من الباحثين، مكتب منيرفا بالزقازيق ١٩٨٥.
-دراسات في أدب محمد جبريل- مجموعة من الباحثين، مكتب منيرفا بالزقازيق ١٩٨٦
- البطل المطارد في أدب محمد جبريل- د.حسين على محمد- دار الوفاء بالإسكندرية ١٩٩٩
- فسيفساء نقدية: تأملات في العالم الروائي لمحمد جبريل، د. ماهر شفيق فريد، دار الوفاء بالإسكندرية ١٩٩٩
- محمد جبريل موال سكندرى- فريد معوض وآخرون- كتاب سمول ١٩٩٩
- استلهام التراث في روايات محمد جبريل - د سعيد الطواب - دار السندباد للنشر ١٩٩٩

– تجربة القصة القصيرة في أدب محمد جبريل – د حسين على محمد – كلية اللغة العربية بالمنصورة ٢٠٠١ – الطبعة الثانية: أصوات معاصرة ٢٠٠٤
– فلسفة الحياة والموت في رواية "الحياة ثانية"، نعيمة فرطاس، أصوات معاصرة ٢٠٠١
– روائي من بحرى – حسنى سيد لبيب ٢٠٠١هيئة قصور الثقافة.
– محمد جبريل: مصر التي في خاطره– حسن حامد – أصوات معاصرة ٢٠٠٢
– سيميائية العقد في رواية " النظر إلى أسفل " لعبد الرحمان تبرماسين – العطرة بن دادة
– أصوات معاصرة– العدد١١١
–التراث والبناء الفني في روايات محمد جبريل، د.سمية الشوابكة، هيئةقصور الثقافة ٢٠٠٥
– المنظور الحكائي في روايات محمد جبريل – د محمد زيدان – أصوات معاصرة ٢٠٠٥
– بنية الخطاب الروائي في أدب محمد جبريل: جدل الواقع والذات: النظر إلى أسفل نموذجًا
– د آمال منصور – أصوات معاصرة ٢٠٠٦
– محمد جبريل ألق الوجدان المصري فرج مجاهد – أصوات معاصرة ٢٠١٢
– مستويات السرد وأشكاله في روايات محمد جبريل– د أحمد فرح – دار حورس ٢٠١٩
– الخطاب الروائي عند ميخائيل باختين – ترجمة محمد برادة – دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، طبعة أولي ١٩٨٧.

رسائل جامعية:

– التراث والبناء الفني في أعمال محمد جبريل الروائية – رسالة دكتوراه للباحثة سمية سليمان على الشوابكة – كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية – إبريل ٢٠٠٤
– مستويات السرد وأشكاله في روايات محمد جبريل – رسالة ماجستير للباحث أحمد حمود فرج أحمد – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية٢٠٠٦
– بناء الشخصية الروائية في أعمال محمد جبريل – رسالة دكتوراه للباحثة مديحة حمدي عبد العزيز – كلية الآداب جامعة طنطا٢٠٠٩
– صورة المرأة في روايات محمد جبريل – رسالة ماجستير للباحثة أمل عبد الله – كلية التربية جامعة دمنهور ٢٠١٠
– تداخل النصوص في روايات محمد جبريل، دراسة تحليلية – رسالة دكتوراه للباحث أسامة شمعون –كلية الألسن جامعة عين شمس٢٠١٣

- معالم الواقع المعيش في القصة القصيرة الأردية والعربية - " إيم مبين ومحمد جبريل "نموذجين - رسالة دكتوراه للباحثة نعمة مصطفى إبراهيم الجنايني - كلية الدراسات الإنسانية. جامعة الأزهر فرع البنات ٢٠١٤

- أثر البحر في تشكيل روايات محمد جبريل " رباعية بحرى نموذجًا "رسالة ماجستير للباحثة نسرين تميم عبد الله سليمان - كلية الآداب - جامعة بنها٢٠١٥

- الشخصية في روايات محمد جبريل - رسالة ماجستير للباحثة أسماء عبد الله عباس - كلية الآداب جامعة المنيا ٢٠١٦

- الآخر في الرواية السكندرية المعاصرة - محمد جبريل نموذجًا - رسالة ماجستير للباحثة شيماء عبد المحسن خليل شرف ،كلية الآداب جامعة الإسكندرية٢٠١٧

-التوظيف الفني للعناصر التاريخية في الرواية المعاصرة - سعد مكاوي، رضوى عاشور، محمد جبريل - رسالة دكتوراه للباحث أحمد عزيز محمود عبد الستار ٢٠١٨

- المجاز في روايتي "إبراهيم الكاتب" لإبراهيم عبد القادر المازني و" الأسوار" لمحمد جبريل، رسالة ماجستير للباحث إيهاب خالد سعيد الشرقاوي- كلية دار العلوم جامعة الفيوم ٢٠١٩.